المجال الثالث
الكُفْر

obeikandl.com

ورد النهي في هذا المجال في ثلاثة سياقات عن الكفر بالله تعالى، في قوله تعالى: ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ... ﴾(٤١)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ... ﴾(١٠٢)، وقوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (١٥٢).

وتعريف الكفر: "ستر نعمة المنعم بالجحود، أو بعمل هو كالجحود في مخالفة المنعم[١]"، وقيل: "الكُفْرُ في اللّغة: ستر الشيء، ووصف الليل بِالْكَافِرِ لستره الأشخاص، والزّرّاع لستره البذر في الأرض... وكُفْرُ النّعمة وكُفْرَانُهَا: سترها بترك أداء شكرها، قال تعالى: ﴿ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ﴾ (الأنبياء: ٩٤). وأعظم الكُفْرِ: جحود الوحدانيّة أو الشريعة أو النّبوّة، والكُفْرَانُ في جحود النّعمة أكثر استعمالا، والكُفْرُ في الدّين أكثر، والكُفُورُ فيهما جميعا[٢]".

والكفر نوعان: كفر بالمنعم جل ثناؤه، وكفر بالنعمة. والكفر "مَأْخُوذ من الْكَفْر وَهُوَ السّتْر والتغطية، وَمِنْه يُقَال لِلَيْلِ: كَافِر; لِأَنَّهُ يستر الْأَشْيَاء بظلمته، وسمى الزَّارِع كَافِرًا; لِأَنَّهُ يستر الْحبّ بِالتُّرَابِ، وَيُسمى الْكَافِر كَافِرًا; لِأَنَّهُ يستر نعم الله تَعَالَى بِكُفْرِهِ وَيصير فِي غطاء من دَلَائِل الْإِسْلَام وبراهينه. وَقيل: الْكفْر على أَرْبَعَة أنحاء: كفر إِنْكَار، وَكفر جحد، وَكفر عناد، وَكفر نفاق.

فَكفر الْإِنْكَار هُوَ أَن لَا يعرف الله أصلا، أَو لَا يعْتَرف بِهِ. وَكفر الْجَحْد: هُوَ أَن يعرف الله تَعَالَى، وَلَكِن يجحده، ككفر إِبْلِيس. وَكفر العناد: هُوَ أَن يعرف الله تَعَالَى بِقَلْبِه، ويعترف بِلِسَانِهِ، وَلَكِن لَا يتدين بِهِ وَلَا يَتَّخِذهُ دينا، ككفر أبي طَالب، وَأما كفر النِّفَاق: أَن يعْتَرف باللِّسَانِ وَلَا يعْتَقد بِالْقَلْبِ; فَهَذِهِ أَنْوَاع الْكفْر; فَمن لقى الله تَعَالَى بِنَوْع مِنْهَا لم يعف[٣]".

---

(١) التعريفات، الجرجاني، ١ / ٢٣٧

(٢) المفردات في غريب القرآن، لراغب الأصفهاني، ١ / ٧١٤

(٣) تفسير القرآن، السمعاني، ١ / ٤٥ وما بعدها

وجاء في ذلك أيضا: "الكُفْرُ: كُفْرَانُ النَعْمَةِ وهو نَقِيْضُ الشكْرِ. والكُفْرُ باللهِ على أرْبَعَةِ أصْنَافٍ: كُفْرُ الجُحُودِ، وكُفْرُ المُعَانَدَةِ، وكُفْرُ النِّفَاق، وكُفْرُ القَلْبِ واللِّسانِ[1]".

والآيات الكريمة فيها نهي عن تناول السحر وتعاطيه، واعتباره شكلا من أشكال الكفر، يقول الإمام الجصاص: "أخبر عن الملكين أنهما يقولان لمن يعلمانه ذلك لا تكفر بعمل هذا السحر واعتقاده فثبت أن ذلك كفر إذا عمل به واعتقده[2]".

ونهي عن كفر النعمة وجحودها فقد وورد في تفسير قوله تعالى (ولا تكفرون): "وَلا تَكْفُرُونِ: هو من كفر النعمة، وهو على حذف مضاف، أي ولا تكفروا نعمتي. ولو كان من الكفر ضدّ الإيمان، لكان: ولا تكفروا، أو ولا تكفروا بي. وهذه النون نون الوقاية، حذفت ياء المتكلم بعدها تخفيفا لتناسب الفواصل. قيل: المعنى واشكروا لي بالطاعة، ولا تكفرون بالمعصية. وقيل: معنى الشكر هنا: الاعتراف بحق المنعم، والثناء عليه[3]".

ونهي عن كفر الملة والاعتقاد فجاء في تفسير قوله تعالى (ولا تكونوا أول كافر به) يقول الإمام الجصاص: "وإن كان الكفر قبيحا من الأول والآخر منهيا عنه الجميع،إن السابق إلى الكفر يقتدى به غيره فيكون أعظم لمأثمه وجرمه، كقوله تعالى:[وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَأَثْقالًا مَعَ أَثْقالِهِمْ] وقوله: [مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَتَبْنا عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً] وروى عن النبي عليه السلام أن: على ابن آدم القاتل كفلا من الإثم في كل قتيل ظلما; لأنه أول من سن القتل، وقال عليه السلام: (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة)[4]".

ومن الألفاظ الشائعة في هذا المجال: تكونوا – كافر– تشتروا – آيات – ثمنا – قليلا – تكفر – فتنة – تكفرون.

---

(١) المحيط في اللغة، الصاحب ابن عباد، ٦ / ٢٥٠

(٢) أحكام القرآن، الجصاص، ١ / ٦٥

(٣) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ٢ / ٥٠

(٤) أحكام القرآن، الجصاص، ١ / ٣٨